خارج المدى

مقابر السماء

طالب عبد العزيز

ها هي السماء بزرقتها اللاهبة حاضنة أخرى لك سيدي ايها الجسد العراقي الطائر، يامن تلطخ دماؤك جبين الانسانية العربية الآن، يامن يصمت العرب(الأشقاء) عن محنتك، ويمعنون طعنا بما ظل في أنفاسك من عطر، يا من تطردك المبادئ العروبية من ميادينها تلك التي لم تفهم بعد حقيقة انتسابك، حقيقة عراقية عروبتك وقد شرفت بها تأريخهم.

وفي الوقت الذي يستعد فيه الشعب العراقي لمحاكمة الرئيس المخلوع صدام حسين بجريمة المقابر الجماعية التي خلفها كإدانة ودليل قطعي على وحشيته وبربريته، وما هي إلا أيام قليلة حتى يُستدعى ليقف متهماً بقتل عشرات الآلاف من العراقيين، يتساءل ضحايا وذوو المقابر الجديدة في بغداد وكربلاء والحلة وسلمان باك والمسيب وبغداد الجديدة وغيرها من المدن العراقية المنكوبة حقا، الذين تناثرت أشلاؤهم في فضاءات الله الواسعة حتى صارت السماء العراقية مقابر جماعية لهم، ومعهم ايضاً سيل الجثث المحترقة والمعطوبة،الممزقة والمهروسة، يتساءل هؤلاء عمن يقف وراء ذلك؟ فإذا كان صدام حسين ومعه وزراؤه ورفاقه معلومين اليوم كما هم معلومون بالأمس، فلن يكون قاتل أولئك طلسماً اسمه الزرقاوي أو أبو مصعب أو غيره.. وإذا كان الإرهاب شماعة يعلق عليها العالم مسؤولية مقتل الآلاف من هؤلاء الأبرياء الذين لم يكملوا بعد محاكمة قاتل آبائهم وإخوانهم فسيحين الوقت بالتأكيد،ويجيء الزمان لمعرفة القاتل الحقيقي مهما اختفى وتماهى في المسميات، إذ لم يعد جيش محمد أو أنصار السنة أو جيش التحرير أو جماعة.. أو غيرها لغزاً محيراً فالقاتل معلوم وواضح وجلي وإن تمظهر بأكثر من معنى.

وإذا استطاع العرب الذين وقفوا مع صدام الإفلات من الحضور أمام المحكمة العراقية (ولن يفلتوا، ولو بعد حين) فالعرب اليوم، الذين استقوا عبر مدونات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما من المتشددين، ولم يأخذوا المتغيرات السياسية آنذاك بنظر الاعتبار وجاؤا إلى العراق للقضاء على (أعدائهم من العرب الشيعة، الخوارج،الرافضة) كذباً وزوراً هكذا يفهم الشارع العربي العرب الشيعة العراقيين وتحت مفاهيم كهذه، وأخرى تسمى مقاومة المحتل أو انصر أخاك... الخ، راحوا يفخخون أنفسهم وسياراتهم ليقطعوا أجساد أولادنا وبناتنا وأحبتنا ولينشئوا بجوار مقابر صدام الجماعية مقابر جديدة لنا، نحن أبناء الوسط والجنوب الذين لا ذنب لنا سوى أننا تحررنا من قبضة حاكم ظالم قتل أهلنا وحرمنا الحياة.

وحتى اللحظة هذه ما زال هؤلاء (العرب) يعتقدون أنهم بمنأى عن مساءلة الشعب العراقي، أو أنهم حين يتوارون خلف المسميات تلك إنما يتوارون إلى الأبد، ناسين أن ذاكرة الشعوب لا تخطئ وان الدم العراقي متصل بالدم الكربلائي الذي أريق قبل أكثر من ألف عام وما زال ينبض ويشير إلى القاتلين ويسمي الأمكنة والأزمنة مثلما يسمي الرجال.وإذا كان صدام قد دفن ضحاياه من أبنائنا سراً وفي الليل الأليل ولم يتمكن من إخفاء مقابره بعد أن سارع أبناؤنا وهتكوا أستار وجهه القبيح، فان ضحايانا الآن قُتلوا تحت الشمس وفي وضح النهار ودفناهم بأيدينا علناً وسجلنا أسماءهم في لوح ضمائرنا، لهذا سيكون سهلاً تذكر قاتليهم واحداً واحداً.

ايضاح

فخري كريم لن يستنكف من خياره الفكري والسياسي!

نشرت جريدة المدى في ١٢ تموز الجاري العدد ٤٣٦ مقالا للكاتب ابراهيم حاج عبدي من دمشق، بعنوان (مذكرات فرد تتسع لتشمل ذاكرة وطن)، وفي معرض استعراضه لكتابي (الوجدان) ذكر في مقاله: (انتخب حميد مجيد موسى سكرتيرا للحزب الشيوعي العراقي بعد ان استنكف فخري كريم .....) في الوقت الذي لم يرد تعبير استنكف في الكتاب، بل جاء النص وفي الصفحة ٣٩٤ (لم يرشح فخري كريم عضو المكتب السياسي السابق، نفسه من جديد وآثر ان يتفرغ لمشروعه الفكري والثقافي في مؤسسة المدى وفي رئاسة تحرير النهج الفكرية والمدى الثقافية). لذا اود توضيح هذا الامر للقراء انصافا للوجدان.

د. فائق بطي
مؤلف كتاب (الوجدان)

ومن جانبه عبر رئيس تحرير المدى في اتصال هاتفي من دمشق عن شديد امتعاضه من مراسل الجريدة وهيئة التحرير التي لم تراع قواعد الحرية التي تتيحها الجريدة والتي تتطلب قبل كل شيء مراعاة الدقة وتجنب التحريف في كتابة المواد وقواعد نشرها، وهو ما كان يستلزم التوقف عند ما كتبه حول "استنكاف فخري كريم" الذي وان اعتذر ولا يزال عن اشغال اي موقع قيادي "حزبيا" كان أم "رسميا" "بعد ان بلغ من العمر عتياً"، لكنه لم يتخل يوماً، لا سراً ولا علناً، عن مواقعه الفكرية والسياسية... وهو شديد الاعتزاز بماضيه الذي كان جزءاً من تراث شعبنا وماضيه الوطني المشرف.

قصة قصيرة

مرآتان

جاسم عاصي

(إلى من كانوا ومازالوا نزلاء أقفاص الأسر / المعطلين منهم والأحياء)

م/ ١

إستجاب لكل ما أُوصي به، سكن في داخله شعور بالحذر والخوف، وكم كان بوده أن يواجه أمه بكلام يوضح كون إمتثاله أمامه سوف يكون أشبه بدخول إلى مكان مسكون بالغموض، وهو يخاف ذلك. وإزاء هذا ثمة دافع عنده لسد الثغرات المتسعة أكثر، إذ تكبر معه، فمن المحال أن لا يكون بلا أب. فالأيام تمر على عجالة، وهو مرتبك، حذر،و خائف آه..كم كانت السنين قاسية عليه، وهو وسط الرحى المسننة؛ لذا لم يقل ما يعاكس قولها، بل أصغى إليها:

- ياولدي قد يرحمنا الله هذه المرة.

- الله كريم، رحمته واسعة.

- في المرات السابقة، كنت من يسأل، وها إنك كبرت وأنا تعبت، تعبت كثيراً ياولدي.

لم يستطع التمعن في ملامح وجهها. كان على يقين بأنه مثل نور إنطفأ تدريجياً . تغضن وذبل مثل زهرة وتحول إلى قسمات غريبة، إزدادت على صفحته الخطوط كلوحة الخريطة المعلقة في غرفة الصف. لكنه أخفى مشاعره، وراح يدير ما بداخله كالخليط. فما يضمره كبير وكثير. لوقال لها / لابأس سوف أكون أنا هذه المرة / لهمست.. حسناً فقد كبرت على السنين / غير أنه في حيرة من أمره. ثمة مسافة يجدها ممتدة بإصفرار، كونت حاجزاً بينهما. ولو قال / هل تصدقين أني لا أعرف ملامحه / لغضبت وأنبته مستنكرة / كيف يا ولدي، وهو والدك..! هل يعقل أن لا يدلك عليه الساكن داخل صدرك، ثم إنه يعرفك فور سقوط نظراته على هيئتك وملامح وجهك وقامتك المديدة / ولو قال لها إنه لا يعرفني لأني لم أره قط، ثم أني كبرت وتغير كل شيء في / لكنها ستؤنبه على هذا التصور أيضاً ، معلنة سر ما هو مفتاح لكل غموض، فهو يكشف الأسرار حتى للمكفوفين / لحظتها إستجاب منضماً إلى قافلة الجموع الزاحفة نحو المعسكر.

م / ٢

كيف يلتقي بهم..؟ وعلى أية صورة هم الآن..؟ ومن بقي منهم..؟ ما سمعه كثير، إذ كان زمنه ثقيلاً ينوء به من مكان إلى آخر، من قفص ضيق إلى آخر أوسع، وسط صقيع مدمر، أنهك جسده، وأحيل إلى رماد، أما زمنهم فلا يعرف عنه شيئاً . هو في حيرة من أمره، يبدو مشغولاً كما لو أنه لا يتذكر أحداً كالآخرين، فقط تمور في ذهنه أشياء ومعالم مختلطة مع بعضها داخل قتامة طاغية، وهو يلج من خلال بواباتها ويفض أستارها، ثم يفك مفاصلها، فقد تتشظى ألوانها ويتبدد ظلامها، لكنه في النهاية يقود إلى سلسلة من حلقات أخرى وسط زمن ثقيل.. ثقيل أكثر مما يتصور. لذا فقد بدت ذاكرته تضمحل كالأرض التي تفقد قدرتها على الإنبات. حتى كان إحساسه طاغياً ، وبأن جسده ينفصل عن رأسه، لا يقوده إلى ما يجب، بل تتكاثف داخله العتمة والظلام، وثمة نقاط بيض تبرق وتتلاشى كالومض.

م/١

نظر للجميع، وتذكر قول أُمه / لا تفوت فرصة أمامك، بل حدق وإبحث وإلجأ الى السؤال، فإنه يعينك على أمرك. إسأل كل من تصادفه، ولا تنس التأريخ ومكان الأسر، فهما دالتك عليه، إنهم يعرفون بعضهم من تلك التواريخ فلا تنس ذلك ، وإياك أن يغلبك اليأس والحزن مما ترى، فالذي رأيته أكثر وأمر/ فاشتد عزمه، بعد أن بدا مرتبكاً بعض الشيء وهو بين الجموع. لاحظ ثمة تجمعات متباعدة، لحظة فتح الباب الرئيسي، بدأت الجموع تزحف إلى الداخل كجدار متراص، وهو ما زال واقفاً ، فإندفاعهم بدا أكبر مما كان يتصور، قادتهم قوة خفية نحو أهداف غامضة وموزعة، إنهم يهرعون على غير مرمى سوى الإنطلاق من أسر الباب الخارجي.

م/ ٢

تعود النظر هكذا من مسافة بعيدة، يتمعن في الداخل والخارج. لون واحد كان يمتد ويحرّك الجميع. قامات متموجة لخيط طويل شاحب. يبدو بطيئاً ما يشاهده، زخم من الألوان بكثافات تتكتل وراء المشبك، تلتصق بمكعبات الحديد، محدثة حركة في تعامده، متطلعة نحو الداخل. كانت الكتل بعيدة لا تثيره بشيء أو شك في أن تأخذه إغفاءة لولا زحف الجموع المفاجيء نحوهم. إرتبك وفقد السيطرة، غير أنه لاحظ تبعثرهم السريع أيضاً على الجهتين والوسط، ثم تداخلهم هكذا، مما أحدث تداخلا في الألوان وسط عينيه المعتادتين على الشحوب والسكون. كان إضطراباً سريعاً وخاطفاً ، سرعان ما إستعاد ترتيب الصور. وشيئاً فشيئاً ذابت الألوان في محاليلها البشرية.

م/ ١-٢

ثمة صوت يأتي متقطعاً يناديه / جاء من يسأل عنك / وصوت آخر يردد: هناك.. إنه ذاك الرجل الجالس لوحده، إنه هو / أمعن فيه جيداً ، حدق بملامحه. كان بعيداً وهو متقرفص، شديد الإرتخاء. رفع الأول قدمه من على الأرض، كانت ثقيلة، ثمة ما يعيقها. صعب عليه إسعافها بحركة ألأخرى.

أقبل عليه من بعيد / من يكون يا ترى ؟/ كانت حركة الثاني أقل إرتخاءً . بدت له خطوات بطيئة. قال الأول / لا لاتبدو صورته مألوفة، إنه على نحو آخر لما رأيت في الصورة المعلقة له على جدار الغرفة..كيف..؟! / قال الثاني / من يكون ياترى الذي جاء يسأل عني..؟ / تلاحقت الخطى بأقل بطء، لكن إزداد إتساع العيون نحو بعضها، إقترابا كأقتراب المرايا. أحس الأول بنفسه يناجيه؛ لا يمكن إستلال صورته من الذاكرة / ذكر الثاني / فتى كبير السن يعرفني ويسأل عني..! / إقتربا من بعضهما. حتى تلاشت المسافة تماماً ، إلتصقت المرآتان مع بعضهما. كان السؤال يداهمهما وراح ينطلق من فيهيما. فقط تلبستهما الحيرة بقيود ثقيلة. فجأة التصق الجسدان، إنقادا لحس غامض، ثم قبّلا بعضهما بشغف وإستغراق. كانت تنهدات ونشيج، ربما سمعهما من كان يتنقل باحثاً عن ضالته، لكنه إنعكاس كصوت خالد راح ينطلق كرفيف طيور بيض، يحتل السماء المفتوحة، وينتشر على مرأى من شمس ساخنة جداً ، تغطي فضاء المعسكر وساحته ، والقامات المتكتلة على بعضها.

المعدان لثيسكر..كتاب عن الحنين والناس والقصب

عبد الخالق كيطان

هذا كتاب مليء بالحنين، ولأنه كذلك فقارئه لا يبدأ صفحاته إلا ليكملها كلها. مؤلف الكتاب، كما يصفه المترجم حسن ناصر بدقة، طبيب ماهر وصياد لا يبارى وصديق وفي، ومن المؤكد أن رجلاً بهذه الصفات خليق بأن يحمل في رأسه وقلبه ذاكرة متقدة تحفظ في أرشيفها الحيوات والأنهار والبيوت والحيوانات، وهذا بالضبط ما فعله السير ويلفرد ثيسكر في كتابه الأخاذ: المعدان، والذي صدر مؤخراً عن دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد ووقع بـ ٣٠٤ صفحات من القطع الكبير.

وثيسكر لم يكن الرحالة الأوربي الأول الذي يصل إلى مناطق الأهوار في جنوب العراق، ولكنه وللأسف الشديد كان شهد نهايات تلك المنطقة المليئة بالأسرار والغناء والآلام. كان العام ١٩٥٨، وهو عام الثورة التي نفذها عبد الكريم قاسم ومجموعة الضباط، العام نفسه الذي فارق فيه ثيسكر أحب الناس إلى قلبه وأكثر المناطق التي أستقر بها(دام بقاؤه في الأهوار للفترة من العام ١٩٥٠ ولغاية العام ١٩٥٨) ومن المعلوم، عراقياً، أن الأعوام التي تبعت هذا العام قد شهدت تدريجياً موتاً بطيئاً لمناطق الأهوار وصل ذروته مع الحرب العراقية الإيرانية ثم حملات السلطة آنذاك بحرق الأهوار وترحيل سكانها إجبارياً بعد أن كانوا قبل ذلك ينزحون يومياً إلى المدن الكبرى، وخاصة المجاورة ومنها العمارة والناصرية والبصرة، وصولاً إلى العاصمة بغداد.

ولأن ثيسكر عاش بين الناس وتفهم تقاليدهم بحس العارف المستكشف فقد تنبأ مرات في كتابه الذي بين أيدينا بالمآل الذي آلت إليه مناطق الأهوار العراقية. وكانت البداية مع الهجرة الكثيفة لأبناء هذه المناطق إلى المدن أواسط الخمسينيات بسبب تزايد الظلم والاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له على أيدي الشيوخ المتنفذين في مناطق الأهوار والحياة البائسة التي يعيشونها ناهيك عن تفشي الأمراض والأوبئة بسبب إهمال السلطات المتعاقبة لها، ثم جاءت قوانين الإصلاح الزراعي لتكمل دورة الهجرة المريعة، فعاش المعدان في ضواحي بغداد والمدن الأخرى في بيوت شيدوها من الطين والصفيح عيشة الكفاف والذل والجوع بعد أن انطبق عليهم المثل العراقي القائل(ضيعوا المشيتين)، فلا هم بقوا في أراضيهم بين أعواد القصب وأسراب الطيور وقطعان الجاموس ومتانة تقاليدهم، ولا هم اندمجوا في حياة المجتمعات الجديدة التي انتقلوا إليها وحلموا ذات يوم بأن تكون مستقبلهم الزاهر.

ولقد لفت نظري بين سطور ثيسكر تحليل مشابه قدمه واحد من شيوخ ذاك الزمان، وهو السيد محسن أبو طبيخ في كتاب سيرته الضخم، عندما أكد على أن قرار مصادرة الأراضي الزراعية من الشيوخ وتوزيعها على الفلاحين كان قراراً سياسياً جلب الكثير من المشاكل للبلاد أكثر بكثير مما لو صدر قرار ينظم علاقة المشايخ بالفلاحين. فالفلاحون الذين اعتادوا العمل لقاء أجر معين ليست لديهم القدرات المادية والتقنية والبشرية على زراعة الأراضي الممنوحة لهم ما أدى بهم إلى إهمالها، ولم يفعل الموظفون الحكوميون المنتدبون للإشراف على زراعة تلك الأراضي بأكثر من التكاسل عن واجبهم شأنهم شأن الآف الموظفين الكسالى، وبالنتيجة فر الفلاحون إلى المدن فأصبحوا عالة عليها وبارت الأرض وقل نتاجها فيما لاذ الشيوخ بالصمت إذعاناً لقرارات السلطات الجديدة.

ثيسكر كان حزيناً وهو يمضي في تأملاته التي كانت كثيراً ما تؤدي به إلى قراءة مصير مناطق الأهوار في العراق، تلك المناطق التي سحرته كما لم تسحره مناطق من قبل، وهو الذي سافر وارتحل في الكثير من المدائن، من بلاد فارس إلى السودان ومن أعالي الفرات وجبال كردستان إلى الجزيرة العربية. ولكن مناطق الأهوار كانت الوحيدة التي أجبرته على العيش بين ظهرانيها، تحمل قسوة الطبيعة فيها وصعوبة تحمل طباع ابنائها التي لا يمكن أن تحزر وغلاظة الكثير من شيوخها. تلك التأملات كانت تقوده إلى تخمين انقراض الكثير من حيوانات الأهوار، مثل الخنازير البرية وبعض الطيور المهاجرة، كما وصل إلى تنبؤات عن هجرة أبناء هذه المناطق إلى المدن الكبيرة بالرغم مما يعنيه ذلك لهؤلاء من ضياع وتشرد. وبالطبع فإن ما جرى لهذه المناطق كان أقسى كثيراً مما تخيله المؤلف!

في كتابه، العودة إلى الأهوار، يروي كافين يونغ عن لقائه الأول بالرحالة ويلفرد ثيسكر في البصرة عام ١٩٥٢، وكيف طرح على هذا الأخير رغبته بالسفر إلى السعودية على ظهر جمل، خاصة وإن ثيسكر يعد في ذلك الزمان خبيراً بهذه المناطق، وكان جوابه لافتاً عندما قال ليونغ: إنس ذالك، وتحمل هذه الإجابة ضمناً العشق الكبير الذي يكنه صاحب كتاب المعدان للمنطقة وناسها على العكس من مناطق أخرى زارها وأقام فيها. يضيف كافين يونغ بالحديث عن رحلته أخيراً إلى الأهوار، والتي تمت برعاية ثيسكر نفسه باعتباره خبيراً بالمنطقة، بل عاشقاً لها، عاش مع سكانها وتعرف إلى مشاكلهم وعالمهم الغامض وتعود على الجو القاسي فيها وتآلف مع حيواناتها ونباتاتها.

في الكتابين، كتاب يونغ وكتاب ثيسكر، يقف القارئ على هذا العشق الذي يصل حد الوله بمناطق الأهوار، وإذا كان يونغ قد قد تردد على مناطق الأهوار لمرات متقطعة كان آخرها في العام ١٩٧٣، فإن ثيسكر عاش فيها فترة شبه متصلة لحوالي ٨ أعوام، وكان حدس باستحالة عودته إليها مرة ثانية مع بلوغه خبر الثورة ضد الحكم الملكي ما يجعل من كتابه شهادة غنية ووافية ومليئة بالأحداث صغيرها وكبيرها. علينا أن نذكر هنا أن زيارات يونغ ما كان لها أن تتم لمناطق الأهوار لولا وجود شخص إنجليزي يدعى ولفريد ثيسكر.

وجدت السطور السابقة ضرورية للغاية ونحن نتصفح الكتاب القيم الذي بين أيدينا، وهو كتاب جدير حقا بالقراءة، خاصة ونحن نعيش في ظروف مهيأة تماماً لنهضة شاملة من الممكن أن تعيد الحياة لمناطق الأهوار العراقية بعد عقود طويلة من الإهمال والتشريد.

قسم ويلفرد ثيسكر كتابه إلى عدد من الفصول، وذلك لضرورات حصر الذاكرة كما أزعم، فالمؤلف يلتقط في كل فصل من فصول كتابه لحظة من حياته التي أمضاها في عالم الأهوار ثم يبني عليها ما تستدعيه ذاكرته الناشطة من تفاصيل دقيقة عن حياة الكائنات التي تعيش في هذه المناطق بلغة شفافة رشيقة وسلسة أضاف إليها المترجم الكثير من طراوة اللغة العربية. وإذ يعترف المؤلف مرات بعجزه أمام لغة سكان الأهوار، وهي بالطبع لغة عربية مغرقة بالعامية الجنوبية ما يجعل سكان المدن المحاذية للأهوار أيضاً يقفون في أحيان كثيرة عاجزين عن فهمها وفهم أنظمتها الإستعارية والبلاغية، نقول بالرغم من ذلك إلا أن المؤلف، وبعقلية الرحالة الباحث عن المعرفة، لا يقف عاجزاً أمام ذلك، بل تراه يبذل ما يمكنه للتغلب على ذلك، فتراه كثيراً ما يندمج وعادات وتقاليد سكان تلك المناطق، بما فيها ما يتعلق بعاداتهم وتقاليدهم الدينية، مثل الصلاة وصيام شهر رمضان وإقامة التعازي لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام. وبالرغم من العشق الواضح الذي يبديه المؤلف للناس والطبيعة في مناطق الأهوار، إلا أنه كثيراً ما أبدى نقداً منطقياً لعادات بعينها أو لأشخاص بعينهم، ولا يجد القارئ مع هذه النقدات إلا التعاطف لمنطقيتها أولاً ولكونها صادرة عن رجل محب لم يكن غرضه إلا تقديم المساعدة لهؤلاء الناس البسطاء ثانياً.

عمل ثيسكر على استثمار معرفته البسيطة بالطب والأمور الطبيبة، وكان الناس في مناطق الأهوار بحاجة ماسة لمن يساعدهم في القضاء على الأمراض المستشرية في مناطقهم، فقد كانوا لا يؤمنون كثيراً بتقصد المستشفيات التي تقع في المدن المجاورة، وكان القضاء والقدر والارتكان إلى الطب الشعبي ونصائح رجال الدين ديدنهم، ولكنهم اكتشفوا مع الأدوية التي كان يمنحها ثيسكر لهم علاجاً ناجعاً للكثير من مشاكلهم الصحية، ووصل به الأمر ليقوم بدور (المطهرجي)، أو عمليات الختان بينهم، فيما لم يتردد البعض في الطلب منه إجراء عمليات تغيير الجنس والتي لم يجد هذا الطبيب الهاوي أمامها غير العجز.

وبالرغم من ذيوع شهرته بين سكان الأهوار باعتباره: الصاحب والطبيب، إلا أنه كان كريم اليد واللسان معهم دائماً ، وخاصة رفاقه في رحلاته الاستكشافية داخل أعماق الأهوار الغامضة والغريبة والقاسية، فكان يمدهم مثلاً بما يحتاجونه من أدوية مجاناً فيما يقوم على شرائها أو جمعها من مستشفيات البصرة والعمارة والناصرية وبغداد، كما أسهم ثيسكر في دفع مهور عدد لا بأس به من أصحابه المعدان واشترى لبعضهم بنادق صيد وطلب(عطوة) لأعز أصدقائه المدعو عمارة، فيما خانته دموعه وتقاليده الغربية في ذرف الدموع على صاحبه الأحب فالح أبن الشيخ مجيد الخليفة.

الشخصيات التي تتحرك على مسرح الأحداث في هذا الكتاب شخصيات غنية ومتنوعة، ففيها الشيوخ الذين يقضون أغلب أوقاتهم بين بغداد والعمارة مثل الشيخ مجيد الخليفة، وفيها شيوخ لا يغادرون مناطق المعدان إلا لضرورات قصوى جداً مثل الشيخ فالح أبن مجيد الخليفة، كما نتعرف على شخصيات أخرى مثل حميد صانع القوارب، وطبقة رجال الدين التي تضم بعض المتنفذين بسبب ارتباطهم بالنسب للرسول الكريم محمد(ص)، ناهيك عن صيادي السمك وخدام المضيف ومن يقومون بالزراعة وتشييد المضايف والبيوت والقهوجيه.. والملاحظ أن الشخصيات النسائية لا تغيب عن هذا الكتاب حيث ثمة المرأة القوية التي تمارس دور الشيخ بغلاظة لسانها في أحيان كثيرة وثمة أيضاً النساء اللاتي يعملن في الصيد وتربية الجاموس وما إليه.

إن تشكيل الكتاب جاء ليكشف مستويات الحياة في مناطق الأهوار من خلال الشرح التفصيلي لعوامل الزمان والمكان والشخصيات، وأيضاً الأحداث. وبالرغم من أن لغة الكتاب تقترب من أدب الرحلات والسير، إلا أن التفاصيل الضرورية والأحداث والشخصيات كل ذلك يؤهل الكتاب ليكون أقرب إلى الرواية وأشبه بالوثيقة لزمان مضى.

والسؤال الأساس الذي يمكن استخلاصه من هذا الكتاب يتعلق بالعظة، فمناطق الأهوار العراقية تعرضت لشتى الظروف الطبيعية والسياسية على مر التاريخ، ومع ذلك ثمة دائماً فرصة متاحة لإعادة الإعتبار للمنطقة وسكانها، هذه المنطقة الساحرة بجمالها الطبيعي والأخاذة بناسها وحيواناتها وطبيعتها.